الغريب يشهد
سقوط الشعر في ضاحية المدينة

شعر خالد ابو خالد

يسقط بين الليل والنهار الزمن الخمري
والسؤال .. خيمة ثقيلة تجثم فوق موعدي
يسقط هذا الشجر الاخضر
والزيتون
والاطفال
والظلال
والجدران
فوق قامتي الشقية السمات
اشتعل المدار
وانتظرت
في ضاحية المدينة ...
استقطبني الاسمنت
صرت مينا
وكان الخشب الذي يحملني يئن
في ضاحية المدينة .. انتظرت
كان الفرح الصغير طيرا مرهقا ينام بين شفتي والشفق الحزين
ساكنا
منزويا .. تحت عقارب الساعات
كان بائع الفستق قادما من ذكريات هرب العبيد
— ... اه ... حيفا
سقط الميناء تحت بريق الغزاة
هاجر النورس
اه .. عبثا في الهجرة القديمة انتظرت ان القاك .. ان ولم ازل
اسمع بين الصمت والكلام الصوت — في دفاتري — الذي افتقدته
في زمن المنفى
طلعت مثل القمر الغريب .. والسحابة
وامطرت يداك
هل اقول الحق ..؟
كانت الرياح في يدي رهينة
اطلقتها اليك ... وابتعدت ..
كانت الشوارع التي ارتادها غارقة بالليل والدماء
والاسى القديم
تهت عنك
قال السائق العجوز باسما :
— هنا ..
وتهت في الزحام عن ملامحي
في منتصف الرصيف صرت محورا يدور
حولي الناس
صاح بائع الجرائد الصبي معلنا عن اخر الاخبار
فاشتريت خبر انفجار شحنة في القدس
وانحدرت في طريق الصبر
وانتظرت
— اسالك الليلة بعد كل الصبر ..
هل تفهمين غربتي .. والشعر ؟
هل تدركين السر ؟
— يا مرحبا
— يا ايها الحزن الذي يعشقني
رافقتني الزمان كله
كبرت تحت الجلد
في العيون
— مرحبا
— عمرت في سماء رحلتي
شاركتني الرغيف
والثياب
والسماء
والنهار
ايها الصديق
— مرحبا
— يا ايها الحزن الذي يجبلني بالحزن
اذكر عند النبع كان الوطن البعيد بيننا .. يحبنا
وكان خلف الصيف
بعد البحر .. والشواطىء السوداء ..
والرحيل
تسقط في يديك نصف برتقالي
فانحني عليك هابطا من قمم الجبال للسهول
— مرحبا .. يا موت
— يا صغيرتي وجهك بعد الموت لاح لي
وقبله
قبلته
وثار في التراب اللغم
صار صاحبي كبرتقالتي .. نصفين
يا حبيبتي
وانحسر الغبار عنك
تورقين مثلما اورق تحت القصف
والحصار
يا حبيبتي
في المدن التي يحكمها .. يسحقها التجار
— هل عرفتني ؟
وهل ..
يقتلع الشجر الذي زرعته
تجتاحني الغربة ، والصقيع بين برهتين
تربطان الحب والوداع
— يا ايها الحب الذي يهجرني
يا ايها النبي
— مرحبا
الى اللقاء
في غد
يا ايها الحب الذي يفقدني
اقول خذ يدي
هنا ...
تنطفيء الاصوات والضياء
حول وقفتي
يغترب الذين يعبرونني الى شوارع المدينة التي تتسع
الان على حساب الشجر المقلوع
والتي تقلعني من حائط .. لحائط
من موقف .. لموقف
اسقط مثل الشجر الذي يموت
قلبي الحزين متعب
— ايتها الفاجعة التي تلوح فوق الجبل الصخري راية
تنبهي
وابتعدي
اهرب عنك .. تقبلين
انني ابتهلت ان تكوني فرحا
بكيت
ايها البكاء يا بوابتي الى الهواء
جرني على الرباب .. جرني
يا ايها البكـــاء
انت صاحبي القديم
— كيف تبسمين
— مرحبا
— الى اللقاء
ارتحل الذي توقع الزمان ان يجيء حاملا وعوده
وغاب
— اين انت
انني ارتشق بندقيتي ... ووردتي اليك
انني اشبك في يدي يديك
انت لي
واجهتك الليلة في النافورة الجورية التي ترشنا
فارتعشت قرارة الاشياء في طريقنا
وارتعش الجدار ..
والرصيف
والزجاج
— اين تذهبين ؟
افترق القلبان مثل برتقالتي نصفين
تحت الشجر المنبوح صار ساعدي
وبندقيتي
وجعبتي

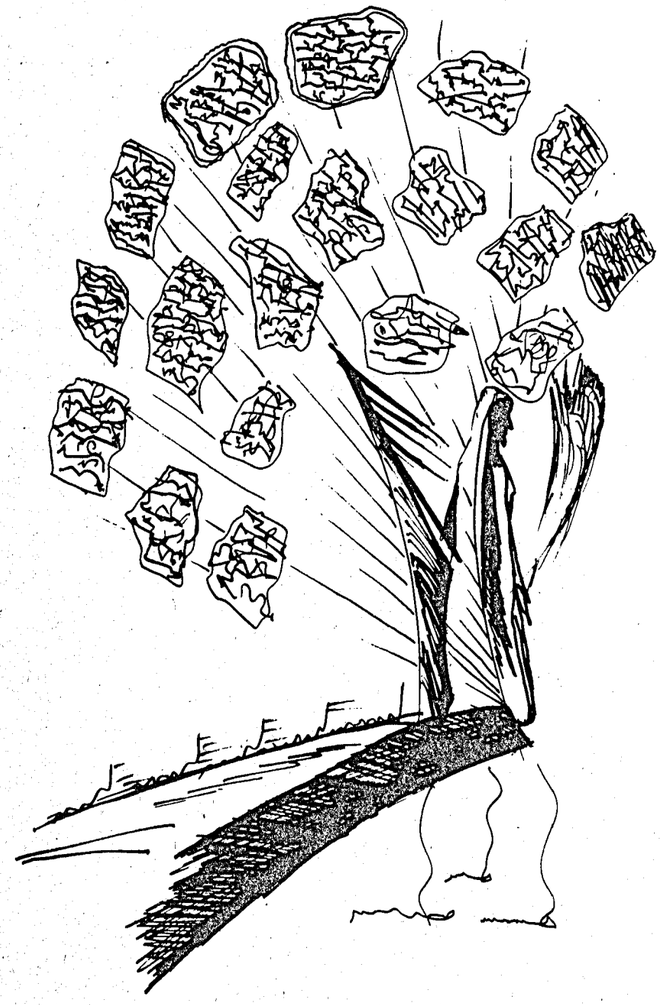

رت
ضد جبهتي رفيق
يا صوتي في فراغ الافق .
كررت ...
ر النور مطفا
صوت فوق البرزخ الذي يفصل بين النور والظلام
واقف حافلة
صعدت وحدي في الزحام
ت ..
ن اين ؟
م الغز وجهك الحبيب ..
يا صغيرتي
توقفت
لازت
مطفك الكاكي في مدى الطريق
ت في منتصف الطريق
ن قدمي من العبور شارة المرور .. والحراس
رت في منعطف
رت
ن الوقت ليلا
ت يا حبيبتي ملاحقا
ت خلف الجسر
عت عن بصيرتي
ها ايها الذين تقطعون بيننا
رت مرتين في سبيلها
رة حيث انا
رش الكرسي ، والشوارع الموحشة التي ترفضني
معذرة
عاقتنا تشير نحو اخر الزمان ..
سقط الشهود .. بعد
سقط الراس على صدر قتيل المدن التي اكرهها
ما ترجلت جثته منذ بداية المذابح التي يعرفها الرواة والمسافرون
ما تناولت قصته بالصدق مرة صحافة الاعلان
ل بين الارض والسماء خارجا عن غمده
ر يد الفارس
قولي : كيف ؟
عرفين غربة السيوف
ن فتا يمر زمن الهزيمة
تصرت .. لكن
ايها الرعد الذي يملاني
تصرت
طل رعشتي مع الشتاء
ن وجه من احب ظاميء الي
يا ايها
يا ايها الرعد الذي يجتازني
يملاني بالوعد
ارحل في جذوع الشجر القتيل مركبا
اسافر الليلة حاملا عذابنا اشرعة
للريح ظهرها
وصدرها للارض
والرصاص
والنحاس
— هل عرفت ..؟
حوصر الفتيان بين النهر والجبال
صمدوا
وصرت اقحوانة
سكنت راحتيك في مداخل القرى
قرات فيهما مصيرنا .. انا .. وانت بعد السبي والشتات
عدت
لكن انت تصعدين المدرج العصي
والجبال
ما ادرت وجهك
انتظرت ان ..
آفقت بين الحب والوداع
اصطدم السكون .. بالصدى
وظلت العتمه حاملا بالضوء
— مرحبا
تريث الكلام قبل ان اجيل البصر المكدود في مواقع الخطى
تحاملت عيوننا على رائحة الشمع
انطفات قبل ان ارد
اوصدت يدي علي باب الصمت
ظلت شمعتي مطفاة
وانتابني الحزن الذي يعشقني
فغبت
— يا ايها الموت الذي يدهمني
فاجاتني ما بين لحظتين
يا ايها الموت الذي يوقظني بالموت